العرب
الجمعة 2020/11/13
السنة 43 العدد 11880

خطبة الأطفال انتهاك لحقهم في اختيار شريك الحياة

الخطبة المبكرة ميراث أسري يحكم على الزيجة بالفشل مستقبلا

دفع وجود مباركات دينية لخطبة الأطفال، بزعم أنها تمنعهم من الوقوع في الخطيئة مستقبلا، الأسر المصرية إلى اعتمادها بشكل مكثف في ربط علاقات المصاهرة. ولم تعد خطبة الأطفال مجرد حالات فردية، بل صارت منتشرة على نطاق واسع في مناطق ريفية وشعبية وقبلية. إلا أن استشاريي العلاقات الأسرية يعتبرونها انتهاكا عائليا صارخا لحق الطرفين في اختيار شريك الحياة بشكل عقلاني بناء على التوافق الفكري والعاطفي والجسدي.

حجز الطفلة مبكرا لأحد صغار العائلة يحول دون خطبتها من الغرباء

أميرة فكري
كاتبة مصرية

القاهرة – لم تعد وقائع خطبة الأطفال في مصر مجرد حالات فردية، بل صارت منتشرة على نطاق واسع في مناطق ريفية وشعبية وقبلية، أمام غياب القانون الذي يجرّمها ولا يردعها، ووجود مباركات دينية تبيحها تدفع الأسر إلى التعاطي معها وتغريها بمزايا أن يكون الصغار على علاقة شرعية في سن مبكرة بزعم أنها تمنعهم من الوقوع في الخطيئة مستقبلا.

وأصبح ممكنا مشاهدة مجموعة صور ولقطات فيديو على شبكات التواصل الاجتماعي، لطفلة ترتدي فستان الخطبة ولم يتجاوز عمرها العشر سنوات، وتجلس إلى جوار عريسها الصغير الذي لا يزيد سنه عن 12 عاما، ومن حولهما أفراد من الأسرتين يتراقصون ويحتفلون ويقدمون التهاني على أصوات الزغاريد وأغاني الأفراح.

قد تعتقد من الوهلة الأولى أن الحفل لا يعدو كونه دعابة أسرية لإسعاد الطفلين لأسباب معينة، ثم تكتشف أن مراسم الخطبة سارت بشكل رسمي، وقام الصغير بتقديم "الشبكة" إلى صغيرته، وكلاهما ارتدى خاتم الخطوبة كإعلان رسمي على ارتباطهما والاستعداد لإبرام عقد الزواج في أقرب فرصة، عندما تقرر الأسرتان ذلك.

ويصعب فصل وقائع خطبة الصغار عن العادات والتقاليد والموروثات البالية التي تؤمن بها شريحة من الأسر، بأن يتم حجز الطفلة مبكرا لأحد صغار العائلة، وقطع الطريق على الغرباء للتقدم لخطبتها مستقبلا، وتنتشر هذه الأفكار بين أسر لديها جذور قبلية ترى أن زواج البنت خارج العائلة تصرف ربما يرقى إلى مرتبة الجريمة.

ولا تقتنع الأسر التي تؤمن بالخطبة المبكرة للأطفال بأن الخطوة تصادر حق الصغار في اختيار شريك الحياة المناسب لاحقا، إذ يتم استثمار عدم درايتهم بما يجري لصغر سنهم لإجبارهم على الارتباط من أشخاص بعينهم بطريقة "الحجز" دون إدراك لتداعيات ذلك عليهم بعد سنوات وشعورهم بأنهم تعرضوا إلى خدعة كبرى.

وفي هذا النوع من الارتباط، يصعب فسخ الخطبة لأي سبب باعتبار أن الاتفاق بين العائلتين كان عبارة عن "كلمة شرف"، ولا يجوز خرقها أو التنصل منها، وقد يترتب على إنهاء العلاقة من أي طرف أن تصبح أسرة الطفل أو الطفلة، منبوذة من باقي أفراد العائلة لأنها أخلّت باتفاقها ولم تلتزم بكلمتها وميثاق العهد الذي التزمت به.

صحيح أن بعض وقائع خطبة الأطفال تم فسخها بعد تدخل المجلس القومي للأمومة والطفولة بمصر، لكن التحرك الرسمي يرتبط بظهور صور وفيديوهات لحفل الخطوبة في وسائل إعلام ومنصات التواصل الاجتماعي، ويتحول الأمر إلى قضية رأي عام، وحينها يتم الاتفاق وديا مع الأسرتين على إنهاء العلاقة دون عقوبات، ولكن ماذا عن العشرات من الحالات التي لا تظهر للعلن؟

المشكلة ليست في فسخ الخطبة بناء على تدخل رسمي، بل في "كلمة الشرف" التي تلتزم بها الأسرتان، بأن تكون هذه الطفلة محجوزة لذلك الطفل، وغالبا ما تكون العلاقة قائمة دون إنهاء، كما ترغب جهات حكومية، ويتم استكمالها سرا، وقد يترتب عليها الزواج المبكر، طالما أن الإشهار الشرعي حدث في حفل الخطبة.

وقال جمال فرويز استشاري الطب النفسي لـ"العرب"، إن الخطوبة المبكرة للأطفال انتهاك عائلي صارخ لحقهم في اختيار شريك الحياة بشكل عقلاني بناء على التوافق الفكري والعاطفي والجسدي، بعيدا عن إجبار الصغار على أن يكونوا أسرى في سجن علاقة زوجية لم يشاركوا بآرائهم في تفاصيلها.

وأضاف "أغلب زيجات الخطبة المبكرة محكوم عليها بالفشل، لأن كل طرف عندما يكبر في السن ينتابه الشعور بالخديعة وسوء الاختيار والندم على الانصياع لرغبة أسرته، وهنا يضطر إلى تعويض الناحية العاطفية بالخيانة نظرا لغياب التوافق مع شريك حياته، وقد يلجأ إلى سياسة افتعال الأزمات حتى يدفع الطرف الآخر إلى طلب الطلاق".

وهناك من يعارض الخطوة لأسباب ترتبط بشحن الصغار بتطلعات مبكرة نحو الجنس الآخر، فالطفل الذي يعيش فترة الخطوبة يسعى إلى ممارسات جنسية على سبيل التجربة ليثبت أنه جدير بلقب الرجولة، وغالبا ما تنتهي محاولاته بالفشل لأنه لم يصل إلى مرحلة البلوغ بعد، ويبدأ بإيهام نفسه بالعجز ويصاب بحالة نفسية سيئة.

وأزمة بعض الأسر، أنها تتعامل مع خطبة الأطفال كميراث عائلي، أو كالتزام أخلاقي بتنفيذ وصية الآباء والأجداد، ففي أحيان كثيرة يُلزم الجد أو الجدة أولادهما بأن يزوجا الأبناء لأشخاص بعينهم، وإذا لم يفعلوا ذلك يتم نعتهم بالمعصية والخروج عن الطاعة، ما يجعل أجيالا قادمة أسرى لرغبات أجيال عاشت في زمن الجاهلية.

وإذا كانت الخطبة المبكرة تترك انطباعات سلبية عند طرفي العلاقة في المستقبل، فقد تتسبب في تدمير نفسية شريحة كبيرة من الشباب والفتيات فاتهم طابور الزواج لأسباب أسرية واقتصادية، لأنهم يشعرون بالتقدم في السن والعجز عن تحقيق حلم تكوين أسرة، بينما هناك أطفال لم تتبق على زواجهم سوى خطوة واحدة.

ولم تنكر أمنية محمد صاحبة الـ25 عاما، أنها كلما قرأت عن خطوبة طفلين، تعيد التفكير في شبح العنوسة الذي صار يطاردها ويجعلها عرضة للسخرية من أقاربها، إذ لا تنسى موقف أمها عندما طالعت نبأ خطبة صغيرين قبل شهور، حينها وصفتها بالفتاة المنحوسة التي لا تجذب الشباب.

وقالت محمد لـ"العرب"، إن وقائع الخطبة المبكرة تزيد الضغوط النفسية على الفتيات اللاتي يتقدمن في السن دون ارتباط رسمي، لأن المجتمع يربط العنوسة بسن محددة، إذا تجاوزتها الأنثى تصبح عرضة للتنمر، والفتاة تقارن نفسها أحيانا مع أخريات، فكيف تكون حالتها المزاجية وهي ترى طفلة تلبس فستان الخطوبة.

وحسب إحصائيات رسمية، فإن معدلات الزواج في مصر انخفضت إلى الحد الأدنى خلال السنوات الثلاث الأخيرة لأسباب اقتصادية، وعدم توافر القدرة المادية للشباب للوفاء بتكلفة الزواج، لكن نفس المبررات تقود بعض الآباء إلى الموافقة على خطبة فتياتهم مبكرا لرفع العبء الاقتصادي عن كاهل الأسرة لتتولى عائلة الطفل الإنفاق.

> إنهاء علاقة الخطبة من أي طرف يترتب عليه نبذ أسرة الطفل أو الطفلة من باقي أفراد العائلة لأنها أخلت باتفاقها ولم تلتزم بالعهد

وبنفس منطق زواج القاصرات، تفكر شريحة من الأسر بطريقة أن الطفلة عندما تتم خطبتها، فإن جزءا من مصروفاتها سوف يكون إلزاميا على عائلة خطيبها، مثل شراء الملابس والتنقلات والهدايا التي يتم تخزينها لتصبح ضمن "جهاز العروس" عندما يحين موعد زواجها، وهذا يكلف عائلتها أموالا طائلة. ورأت داليا صلاح، رئيسة المؤسسة المصرية لحقوق الطفل، أن تفكير الأسر في خطبة وتزويج فتياتها مبكرا لتخفيف العبء الاقتصادي، يتسبب في انتهاكات جسدية ونفسية لهن، والبعض يفكر ناحية البنات بمنطق مادي بحت دون مراعاة لحالاتهن النفسية وانعكاس ذلك على حقهن في التعليم وعيش مرحلة الطفولة كما يجب أن تكون.

وأشارت لـ"العرب"، إلى أن أخطر ما في الخطبة المبكرة أنها إحدى خطوات التحايل على القانون لتزويج قاصرات، ولو لم يحدث ذلك، فارتباط الطفلة رسميا يحملها مسؤوليات في سن صغيرة، وبعد أن كانت مشغولة باللهو خلال فترة الطفولة والتعليم، تفكر في كيفية إعداد بيت الزوجية وتوديع أسرتها وهي في قمة الاحتياج إليها.

ويستنكر البعض غياب الردع القانوني الذي يرهب الآباء عن خطبة أولادهم مبكرا، لكن الحقيقة أن القوانين وحدها لم تثبت جديتها في محاربة ظواهر أكثر خطورة، مثل الزواج المبكر وختان الإناث والعنف الأسري، لأن التشريعات لا تحارب الجهل.

والأهم وجود استراتيجية شاملة تستهدف زيادة الوعي وتغيير العادات والمعتقدات الخاطئة التي تسببت في انتكاسات يدفع فيها الأبناء وحدهم فاتورة باهظة لجهل الآباء.

نصائح

أنسب الطرق لتنظيف الأحذية القماشية

حذّرت الرابطة الألمانية لصناعة منتجات العناية بالجسم ومساحيق الغسيل من تنظيف الأحذية القماشية بوضعها في الغسالة الأوتوماتيكية؛ نظرا لأن المادة اللاصقة قد تنفك وتترك آثار بقع على بقية القماش، ومن ثم تظهر بقع صفراء قبيحة المظهر على الحذاء، لاسيما ذي اللون الأبيض.

وبدلا من ذلك، تنصح الرابطة باستعمال منتجات العناية المخصصة للأقمشة والمنسوجات.

ويمكن أيضا استعمال ممحاة لإزالة الحواف الداكنة من الخامة ذات اللون الفاتح، بينما يمكن إخفاء الخدوش في الخامة بواسطة كريم ذي لون أبيض غير شفاف.

الرفاق الخياليون يعزّزون التطور الاجتماعي لدى الطفل

لندن – تشير الدراسات العلمية إلى أن 65 في المئة من الأطفال يلعبون مع أصدقاء غير مرئيين، وهو ما يفنّد الاعتقادات السائدة بأن ذلك يعكس اضطرابا نفسيا أو عاطفيا لديهم.

ويذهب علماء النفس إلى اعتبار الأصدقاء الخياليين علامة على تقدم نمو الأطفال بطريقة إيجابية، ويشيرون إلى أنهم يبدأون عادة في اختلاق الأصدقاء الخياليين في السن الثالثة إلى الخامسة من أعمارهم.

ويشير خبراء التربية إلى أن الأطفال العاديين ليسوا فقط من يستمتعون باللعب مع أصدقاء خياليين، بل أيضا الأطفال الذين يعانون من متلازمة داون والمصابون بمرض التوحد.

ويؤكدون أن ظاهرة الأصدقاء الخياليين غالبا ما تحدث في سن الطفولة، وأحيانا في مرحلة المراهقة، ونادرا في مرحلة البلوغ.

وتعتبر هذه الشخصيات بمثابة حراس للطفل يلعبون معه، ويكشفون قلقه ومخاوفه وأهدافه وقدرته على فهم العالم من خلال تلك المحادثات التي يقوم بها.

وفي حين يرى البعض أنه لا يمكن لبعض الأطفال تمييز أولئك الأصدقاء الخياليين عن الأشخاص الحقيقيين، يرى البعض الآخر أنهم يرون هذه الشخصيات فقط في خيالهم، وهناك نوع ثالث من إدراك الطفل للصديق الخيالي وهو عندما لا يراه مطلقا ولكن يشعر بوجوده، وغالبا ما تعتبر ظاهرة الأصدقاء الخياليين شيئا غير طبيعي عندما تحدث للكبار، في حين تكون شيئا عاديا إلى حد ما بالنسبة إلى الأطفال.

ويختلق الأطفال الأصدقاء الخياليين لأسباب عديدة أبرزها التخفيف من الشعور بالوحدة، حيث يتميز كل صديق وهمي بكونه فريدا وخالصا لصاحبه ويمكنه اللعب معه في كل حين.

> الأطفال الطبيعيون ليسوا فقط من يستمتعون باللعب مع أصدقاء خياليين، بل الأطفال ذوو الاحتياجات الخاصة والمتوحدون منهم

ويكون الأطفال الوحيدين الذين ليس لديهم إخوة وكذلك أول المولودين الأكثر عرضة لاختلاق أصدقاء خياليين يلعبون معهم. كما يعمد بعض الأطفال إلى اختلاق أصدقاء خياليين، لإلقاء اللوم عليهم عند إساءة السلوك أو عند إتيان فعل يستحق العقاب. ووفقا للأطفال الذين يختلقون أصدقاء خياليين، فإنهم في الكثير من الأحيان هم السبب في النوافذ المكسورة أو الغرف غير المرتبة.

ويؤكد خبراء علم النفس أن الأطفال الذين يملكون أصدقاء خياليين يستطيعون تفهّم الآخرين بشكل أفضل من أقرانهم الآخرين. ما يعني أن بإمكانهم أن يفكروا كيف أن الآخرين يرون الأمور بشكل مختلف عنهم، وهو أمر يمكن بدوره أن يساعدهم في المواقف الاجتماعية.

وهو ما بيّنته العديد من الدراسات التي أشارت إلى أن الصغار الذين يختلقون أصدقاء خياليين يتسمون بكونهم أكثر وعيا اجتماعيا مقارنة بالأطفال الآخرين الذين لا يملكون أصدقاء خياليين.

كما بيّنت الدراسات أن الأطفال الذين يملكون أصدقاء خياليين يكونون أكثر إبداعا من نظرائهم. وأنهم يركزون على عقول الآخرين أكثر مما يركزون على هيئاتهم أو مظاهرهم. فقد أظهرت الأبحاث أن هؤلاء الأطفال يميلون عند وصف أصدقائهم الحقيقيين إلى الحديث أكثر عن شخصياتهم أكثر من وصف هيئاتهم أو ملامحهم. كما تبيّن أيضا أنهم يملكون فهما أفضل لأنفسهم، ولحقيقة أنه لا يمكن البوح بأفكارهم، وهو أمر يجد الأطفال عادة صعوبة في فهمه.

ويصعب حاليا على الخبراء ومع كل هذه الفوائد معرفة ما إذا كان الأصدقاء الخياليون هم من يُكسبون الأطفال تلك القدرة على الإبداع، أم أن الأطفال الذين يتميزون بكونهم أكثر إبداعا ووعيا اجتماعيا يكونون أكثر ميلا لاختلاق مثل هؤلاء الأصدقاء.

إلا أنهم يرجّحون أن اللعب مع الأصدقاء الخياليين يعزز مع الوقت قدرات الأطفال الاجتماعية، حتى لو كان أساس تلك القدرات جيدا منذ البداية.